

## لا شيء معي إلا كلمات



**بقلم: د. محمد أشرف الغمراوي**

أمشي في هذا الزمان خفيف اليبين إلا من أوراق أقلتها سنوات البحث، وخفيف الجيب إلا من كنوز المعرفة التي لا تبايع في الأسواق. أنظر حولي فأرى الضعيف يعلو، وأرى وجوها صنفها المصادفة تتصدر المشهد، بينما يقف أهل العلم في الظل، يحملون مصابيحهم القديمة وينتظرون من يسأل عن الطريق. بل يمكن الرثاء يوماً للأشخاص وحدهم، بل قد يكون للمقامات التي تهاوت، وللقلم التي تراجمت، وللأماكن التي خلت من أهلها. وأنا هنا أرى مقام العلم الذي كان إذا تكلم أنصت له الناس، وإذا أشار تبعوه، وإذا اختلفوا جعلوه حكماً بينهم. أما اليوم فقد أصبحت الكلمة الرصينة غريبة في وطن الضعيف، وأصبح العالم ممن ينادي من وراء حجاب، ويسمعه القليل ويعرض عنه الكثير. كان أهل العلم يوماً زينة المجالس، وعنوان النهضة، وروح الأمم. كانت الرحلات تشد إليهم، والظوب تملق بكلماتهم، والناس يتناسون في القرب منهم. كانوا يحملون مشاعر الهداية والمعرفة، فتتبعهم أفاق الحياة وتستثير بهم العقول.

### صارت الشهرة تنال في لحظات

أما اليوم فقد تبدلت الأحوال، وصارت الشهرة تنال في لحظات، بينما يقضي العالم عمره كله يجمع العلم حرفاً حرفاً، ثم لا يكاد يجد من يصني إليه. يا لحسن المكتبات الممتلئة بالمعرفة وهي ترى العين منصرفة عنها، ويا لحزن الكتب التي سهر أصحابها اللبالي في تأليفها، ثم صارت حبيسة الرفوف، بينما تتصدر المشهد كلمات عابرة لا تعيش أكثر من ساعات. أصبح كثير من أهل العلم غرباء في أوطانهم، يحملون هموم المعرفة في زمن لم يعد يصبر على المعرفة، ويقدمون الحقائق في مصر يفضل الأثر على الحقيقة. ثم كم عالم أفتى شبابه بين الكتب والمراجع، وارهق عقله بحثاً وتدقيقاً، ثم وجد نفسه في آخر الطريق وحيداً إلا من علمه. وكمن باحث قدم قمره قرباناً للحقيقة، ثم رأى من لا يملك من الزاد إلا الكلام السريع يصعدون التصفيق والاضواء. إنها ليست حسرة على مكانة اجتماعية ضائعة، بقدر ما هي حسرة على ميزان اخلت كفتها، فلم يعد بين الناس بما يحملون من علم، بل بما يملكون من حضور وضجيج. ومن ذلك، فإن أكثر ما يدعو إلى التامل هو أن أهل العلم لم يتخلوا عن رسائلهم، بل يتكروا كتبهم، ولم يلقوا أبواب المعرفة، ولم يساموا على الحقيقة. بقوا أوفياء للكلمة، مؤمنين بأن ما يزرعونه اليوم قد يثمر غداً، وأن الثمر مهما خفت لا ينطفئ. يقفون في مواجهة الجهل بما يملكون، ولا يملكون إلا الكلمات. كلمات يراها البعض ضعيفة، لكنها كانت عبر التاريخ أقوى من السيوف، وأبقى من العروش، وأقدر على صناعة المستقبل. إن الأمم لا تتعرض حين يفتر علمائها إلى المال أو الشهرة، لكنها تتعرض حين تفقد القدرة على الإنصاف إليهم. وتبدأ رحلة التراجع يوم يصبح صاحب الكلمة غريباً بين قومه، ويصبح صوت الحكمة خافتاً وسط ضجيج لا ينهي. عندها لا يكون الرثاء لأهل العلم وحدهم، بل لجمعيتهم بأكملها اختار أن يتعدى من منابع النور. لهذا كتب اليوم، لا رثاء لأشخاص ما زالوا أحياء ينتقدون بل رثاء للبيئة الصالحة للعلم، ولمكانة كانت تليق بأهلها، ولزمن كانت فيه الكلمة الصادقة تجد من يعطفها ويصونها.

### صارت الشهرة تنال في لحظات

أما اليوم فقد تبدلت الأحوال، وصارت الشهرة تنال في لحظات، بينما يقضي العالم عمره كله يجمع العلم حرفاً حرفاً، ثم لا يكاد يجد من يصني إليه. يا لحسن المكتبات الممتلئة بالمعرفة وهي ترى العين منصرفة عنها، ويا لحزن الكتب التي سهر أصحابها اللبالي في تأليفها، ثم صارت حبيسة الرفوف، بينما تتصدر المشهد كلمات عابرة لا تعيش أكثر من ساعات. أصبح كثير من أهل العلم غرباء في أوطانهم، يحملون هموم المعرفة في زمن لم يعد يصبر على المعرفة، ويقدمون الحقائق في مصر يفضل الأثر على الحقيقة.

# الشهد

تصدر عن شركة المشهد، للصحافة والطباعة والنشر، ش.م.م.

مدير التحرير  
محمد موسى

الإخراج الصحفي:  
هالة سعيد - شيما جمل

الإدارة والإعلانات والاشتراكات  
ش.ع. عبد الرحيم صبرى، الدقى  
ت: ٣٧٧٢٠٢٤ - ١٠١٩٤٤٠٠٢  
فاكس: ٣٧٧٢٠٢٤  
البريد الإلكتروني  
almashhad@yahoo.com  
التوزيع والاشتراكات، مؤسسة الأهرام

العدد 354 - السنة الرابعة عشرة - الإثنين 15 يونيو 2026 م - 29 من ذي الحجة 1447 هـ

## ما دام القلب ينبض.. فهناك موعد مع السعادة وإن تأخر



**بقلم: سحر البلباوي**

في طريق عودتي إلى المنزل، وبين وجوه أنفكتها مشاغل الحياة وضجيج المواصلات المعتاد، جلست إلى جوارى سيدة شمرت منذ اللحظة الأولى أن ملامحها مأتوفة، احتجت إلى دقائق حتى استحضرتها من ذاكرة غابت عنها أكثر من أربعين عاماً. كانت جارتنا القديمة؛ الفتاة المرحلة التي لم تكن الأبتسامه تفتقر وجهها يوماً، ما إن تبادلنا التحية حتى انسأب الحديث بيننا، وكأنها كانت تبحث منذ سنوات عمن يسمع حكايتها. قالت إنها تزوجت في شبابه بعد قصة حب، لكن زواجها انتهى ولم يشفع لها هذا الحب، طلقت لأنها لم ترزق بأطفال، لم يكن الطلاق نتيجة خلاف أو سوء عشرة، بل لأن زوجها لم يتوقف عن معاربتها بعدم الإنجاب حتى جعلها تشعر أن قيمتها كلها اختزلت في أمر لم يكن لها يد فيه. ثم تزوجت رجلاً ازماً لديه أبناء وبنات يريد أما لهم، احتضنتهم كما لو كانوا أبناءها، ورتبهم، وسهرت على تعليمهم، حتى زوجت البنات، وطلت أن الله عوضها بأسرة حرمته منها، لكن القدر كان يخفي لها أمثالاً أخرى؛ فما إن توفى زوجها حتى تكرر لها الأبناء، وأداروا ظهورهم لها، لتجد نفسها وحيدة بعد سنوات طويلة من العطاء. توقعت أن تنتهي الحكاية عند هذا الحد، لكنها استسلمت وقالت: "بعد أن تجاوزت الستين، طرق بابي طيب يطلب الزواج، رفضت أخوتي جميعاً، وقالوا: ماذا ستفعلين بالزواج في هذا العمر؟ لكنني وافقت خوفاً من الوحدة ولأن كلا منهم مشغول بحياته، ورغم غضبي ومقاطعتهم لي أتممت الزواج. ثم أضافت، وعينها تلمعان بامتنان: "مر على زواجنا ثلاث سنوات... والله ما عرفت معنى الزوجة إلا معه، يجترمني، ويخاف عليّ، ويجبر خاطري كل يوم. لم تكن كلماتها وحدها هي التي تروى الحكاية، بل كانت ملامحها أيضاً. رأيت امرأة تجاوزت الستين، لكن الحياة بدت وكأنها بدأت معها من جديد، كان في وجهها صفاء لا تصنعه الأيام السهلة، بل تصنعه الطمانينة بعد طول انتظار. عندها أيقنت أن العمر لا يقاس بعدد السنوات، بل بعدد اللحظات التي نغمس فيها أرواحنا ووجدنا

يكون أجمل ما في حياته. الخوف قد يعطينا من ألم محتمل، لكنه يحررنا أيضاً من سعادة محتملة، لذلك، من حق كل إنسان أن يمنح نفسه فرصة ثانية وثالثة ورابعة للسعادة، ومن واجبه ألا يسمح للخوف أن يشل إرادته، فالسعادة المشروعة تستحق أن نسعى إليها، بعد أن نحسن الاختيار، ونأخذ بالأسباب، ثم نترك النتائج لله. وقد علمني الإسلام أن السعى مسؤوليتنا، أما التوفيق فمن عند الله - قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ كما من باب أغلق فكان وراءه خير لم نره إلا بعد سنوات، وكمن من أمنية تأخرت حتى جاء معها النضج الذي يجعلنا أقدر على الاحتفاظ بها. إن الزمن ليس عدواً للإنسان، ولا العمر حاجزاً أمام الفرص. ففى كل يوم فرصة لم تكن موجودة بالأمس، وشخص لم يلقه بعد، وخير يدخره الله في الوقت الذي يراه أصح لنا. ليس المطلوب أن ننسى الأمانا، بل أن نجعلها تحكم مستقبلنا. فالحياة لا تطلب منا ضمان النتائج، وإنما شجاعة المحاولة، وحسن السعي، والرضا بما يختاره الله لنا. وطالما أن في العمر بقية، فهناك دائماً صنعة لم تكتم، ودعاء لم يُستجب بعد، وفرصة جديدة يسوقها الله إلينا في الوقت الذي يختاره بحكمته. أما جلال الدين الرومي فيخلص الأمر بقوله: "الجرح هو المكان الذي يدخل منه النور إليك". المشكلة ليست في التجارب القاسية، بل في أن نسمح لها بأن تتحول إلى سجن نخاف داخله من كل بداية جديدة، فكم من إنسان أغلق قلبه بعد خذلان، أو تراجع عن فرصة، خوفاً من الفشل، فحسب ما كان يمكن أن



**بقلم: د. أنيسة فخرو كاتبة بحرينية**

### ديتنا الإسلامي دين العدل والرحمة

يحكم كوني كاتبة، تتسلى عشرات الاتصالات والحالات، لتساء بعش حياة مأساوية، وأحاول أن أقدم إليهن بعض النصائح والحلول، لعل وعسى أن تنفع قليلاً. والبلع يوجد أزواج يتعرضون للتمتع والعنف من الزوجات غير المتربات سلبات اللسان، لكن النسبة أقل بكثير من النساء اللواتي يتعرضن للأمر نفسه. ولاحظت المعاناة الشديدة من تمر الزوج للعديد من الزوجات، لسنوات طويلة، وعلى الزوجة الصبر والتحمل، بسبب وجود الأولاد، لتندم التفسيات، خاصة عندما يكون الرجل بلا أخلاق في التعامل مع زوجته، وعليها أن تتحمل وترتضخ، وإن أبدت رفضها، يخاصرها في إحدى زوايا البيت وينهال عليها بالصراخ والضرب، ويجبرها على السكوت والدفاع عن نفسها فقط، بسبب خوفها من الطلاق. وقد اتصلت بي إحدى الحالات التي لا أعرف كيف أساعدها، وأشعر بالمجز، لذلك أكتب عن وضعها وحالها، لعل وعسى تجد من ينصتها ويعيد لها حقها: متزوجة منذ (٣٠) عاماً، أي أن عمرها قد تعدى الخمسين، ولديها ولد وبنت، كبروا وأصبحوا في سن الزواج وهم يرون معاناة والديهم أمام قد تعدي الخمسين، وأبديها ولدين وبنت، كبروا وأصبحوا في سن الزواج وهم يرون معاناة والديهم أمام أعينهم ولا يستطيعون فعل أي شيء. المشكلة: منذ سنوات عدة الزوجة تتعرض إلى عنف وإرهاق جسدي ولفظي ونفسي من قبل الزوج، ويمارس عليها تعذيب يومي، حتى أصبحت والزوجة لا تستطيع النوم، بسبب الرعب والقهر والظلم. وهو يضربها في مواضع لا تظهر الكدمات فيها، مثلاً على قمة الرأس أو في البطن، ولقد ذهبت الزوجة إلى مركز الشرطة وإلى العديد من الجهات، لدفع الضرر عنها وحماية نفسها، لكنها بسبب خوفها من أن يُطلقها، لا تجرؤ على تقديم بلاغ رسمي ضدّه، ومازالت تعاني الأمرين. وكما ما تطلبه هو حمايتها من تعنيف الزوج وعذابه، وهي صابرة على العذاب والإهانات خوفاً من أن يُطلقها ويتردها من البيت، فتصعب في هذا العمر بلا مأوى، وكيف تضمن حقها في البيت وكيف تحمي نفسها من عنف الزوج؟ ولقد تزوج عليها امرأة غير بحرينية منذ سنوات عدة، ولا تتمنى سوى أن يكف شره عنها، ويعيش حياته مع زوجته الجديدة ويتبركها بسلام. ومن مهزلة القدر أو من سذاجة هذه الزوجة، أن الزوج سكب كل حقوقها التقاعدية منذ سنوات طووال، وأصبحت لا تملك راتباً تقاعدياً، في حين أن وضع الزوج المالي ممتاز، وقد اشترى بيتاً كبيراً وسيارة للزوجة الجديدة، في حين لا يدف ديناراً واحداً لزوجته الأولى. إن ديننا الإسلامي دين العدل والرحمة، والقضاء البحري يعلى الحقيقة والنزاهة، فلماذا لا ينصف الشرع والقانون مثل هذه الزوجة البائسة؟ أناشد القضاة الشرفاء وكل مسؤول بيده القرار، أن يفعل شيئاً لكي ينصف هذه المرأة المسكدة، والتي توجد عشرات النساء من أمثالها. ومن يستطيع المساعدة في رفع الظلم عن هذه المرأة، ويرغب من المزيد من التفاصيل، يمكنه التواصل معي بشكل مباشر، والله من وراء الكصد.

## المرأة ومواجهة التمر والعنف

يحكم كوني كاتبة، تتسلى عشرات الاتصالات والحالات، لتساء بعش حياة مأساوية، وأحاول أن أقدم إليهن بعض النصائح والحلول، لعل وعسى أن تنفع قليلاً. والبلع يوجد أزواج يتعرضون للتمتع والعنف من الزوجات غير المتربات سلبات اللسان، لكن النسبة أقل بكثير من النساء اللواتي يتعرضن للأمر نفسه. ولاحظت المعاناة الشديدة من تمر الزوج للعديد من الزوجات، لسنوات طويلة، وعلى الزوجة الصبر والتحمل، بسبب وجود الأولاد، لتندم التفسيات، خاصة عندما يكون الرجل بلا أخلاق في التعامل مع زوجته، وعليها أن تتحمل وترتضخ، وإن أبدت رفضها، يخاصرها في إحدى زوايا البيت وينهال عليها بالصراخ والضرب، ويجبرها على السكوت والدفاع عن نفسها فقط، بسبب خوفها من الطلاق. وقد اتصلت بي إحدى الحالات التي لا أعرف كيف أساعدها، وأشعر بالمجز، لذلك أكتب عن وضعها وحالها، لعل وعسى تجد من ينصتها ويعيد لها حقها: متزوجة منذ (٣٠) عاماً، أي أن عمرها قد تعدى الخمسين، ولديها ولد وبنت، كبروا وأصبحوا في سن الزواج وهم يرون معاناة والديهم أمام قد تعدي الخمسين، وأبديها ولدين وبنت، كبروا وأصبحوا في سن الزواج وهم يرون معاناة والديهم أمام أعينهم ولا يستطيعون فعل أي شيء. المشكلة: منذ سنوات عدة الزوجة تتعرض إلى عنف وإرهاق جسدي ولفظي ونفسي من قبل الزوج، ويمارس عليها تعذيب يومي، حتى أصبحت والزوجة لا تستطيع النوم، بسبب الرعب والقهر والظلم. وهو يضربها في مواضع لا تظهر الكدمات فيها، مثلاً على قمة الرأس أو في البطن، ولقد ذهبت الزوجة إلى مركز الشرطة وإلى العديد من الجهات، لدفع الضرر عنها وحماية نفسها، لكنها بسبب خوفها من أن يُطلقها، لا تجرؤ على تقديم بلاغ رسمي ضدّه، ومازالت تعاني الأمرين. وكما ما تطلبه هو حمايتها من تعنيف الزوج وعذابه، وهي صابرة على العذاب والإهانات خوفاً من أن يُطلقها ويتردها من البيت، فتصعب في هذا العمر بلا مأوى، وكيف تضمن حقها في البيت وكيف تحمي نفسها من عنف الزوج؟ ولقد تزوج عليها امرأة غير بحرينية منذ سنوات عدة، ولا تتمنى سوى أن يكف شره عنها، ويعيش حياته مع زوجته الجديدة ويتبركها بسلام. ومن مهزلة القدر أو من سذاجة هذه الزوجة، أن الزوج سكب كل حقوقها التقاعدية منذ سنوات طووال، وأصبحت لا تملك راتباً تقاعدياً، في حين أن وضع الزوج المالي ممتاز، وقد اشترى بيتاً كبيراً وسيارة للزوجة الجديدة، في حين لا يدف ديناراً واحداً لزوجته الأولى. إن ديننا الإسلامي دين العدل والرحمة، والقضاء البحري يعلى الحقيقة والنزاهة، فلماذا لا ينصف الشرع والقانون مثل هذه الزوجة البائسة؟ أناشد القضاة الشرفاء وكل مسؤول بيده القرار، أن يفعل شيئاً لكي ينصف هذه المرأة المسكدة، والتي توجد عشرات النساء من أمثالها. ومن يستطيع المساعدة في رفع الظلم عن هذه المرأة، ويرغب من المزيد من التفاصيل، يمكنه التواصل معي بشكل مباشر، والله من وراء الكصد.

يكون أجمل ما في حياته. الخوف قد يعطينا من ألم محتمل، لكنه يحررنا أيضاً من سعادة محتملة، لذلك، من حق كل إنسان أن يمنح نفسه فرصة ثانية وثالثة ورابعة للسعادة، ومن واجبه ألا يسمح للخوف أن يشل إرادته، فالسعادة المشروعة تستحق أن نسعى إليها، بعد أن نحسن الاختيار، ونأخذ بالأسباب، ثم نترك النتائج لله. وقد علمني الإسلام أن السعى مسؤوليتنا، أما التوفيق فمن عند الله - قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ كما من باب أغلق فكان وراءه خير لم نره إلا بعد سنوات، وكمن من أمنية تأخرت حتى جاء معها النضج الذي يجعلنا أقدر على الاحتفاظ بها. إن الزمن ليس عدواً للإنسان، ولا العمر حاجزاً أمام الفرص. ففى كل يوم فرصة لم تكن موجودة بالأمس، وشخص لم يلقه بعد، وخير يدخره الله في الوقت الذي يراه أصح لنا. ليس المطلوب أن ننسى الأمانا، بل أن نجعلها تحكم مستقبلنا. فالحياة لا تطلب منا ضمان النتائج، وإنما شجاعة المحاولة، وحسن السعي، والرضا بما يختاره الله لنا. وطالما أن في العمر بقية، فهناك دائماً صنعة لم تكتم، ودعاء لم يُستجب بعد، وفرصة جديدة يسوقها الله إلينا في الوقت الذي يختاره بحكمته. أما جلال الدين الرومي فيخلص الأمر بقوله: "الجرح هو المكان الذي يدخل منه النور إليك". المشكلة ليست في التجارب القاسية، بل في أن نسمح لها بأن تتحول إلى سجن نخاف داخله من كل بداية جديدة، فكم من إنسان أغلق قلبه بعد خذلان، أو تراجع عن فرصة، خوفاً من الفشل، فحسب ما كان يمكن أن

# كيف أصبحت اللعبة الأكثر شعبية في العالم واحدة من أكبر صناعات النفوذ؟



**غلاف ريد كارد**

النتائج والجدال. فندما تتنافس المدن على الاستضافة، والشركات على الرعاية، والنصائح على حقوق البث، والحكومات على الجمهور، يصبح مشروع تجاري ضخم. بل يدعو إلى النظر إلى المشهد كاملاً: إلى الهدف الذي يهز المدرجات، وإلى العقد الذي وقع قبل سنوات كي يصبح ذلك الهدف حدثاً عالمياً. وبين هذين المشهدين تمتد المسافة التي يحاول جوليوس بويكوف استكشافها، وهي المسافة التي تجعل من كرة القدم اليوم واحدة من أكثر الظواهر تعقيداً في السياسة والاقتصاد والثقافة، لا مجرد اللعبة الأكثر شعبية في العالم.

استثمارية موحدة. لم تعد البطولة تنتقل من دولة إلى أخرى، بل أصبحت مشروعاً اقتصادياً متعدد المراكز، يدار بمنطق الشركات العالمية أكثر مما يدار بمنطق الاحداث الرياضية. ويلفت الكتاب الانتباه إلى أن القيمة الحقيقية لكأس العالم لم تعد تكمن في بيع التذاكر، ولكن في بيع حق الوصول إلى الجمهور. فالشركات لا تستثمر مليارات الدولارات لأنها تتوقع زيادة فورية في البيعات خلال شهر البطولة، وإنما لأنها تدرك أن كأس العالم يمنحها فرصة للوصول إلى جمهور عالمي يصعب أن يجتمع في مناسبة أخرى. ولهذا تتغير طبيعة الرعاية من مجرد وضع شعار على لوحة إعلانية إلى شراكة في صناعة التجربة نفسها، من التطبيقات الرقمية إلى المحتوى التفاعلي، ومن التحليلات القائمة على الذكاء الاصطناعي إلى الحملات الإعلانية المصممة لكل سوق على حدة. ومن هنا يطرح بويكوف واحدة من أكثر أفكاره إشارة للجدل، وهي أن المشجع لم يعد الهدف النهائي للبطولة، بل أصبح جزءاً من المنتج نفسه. فكل عملية شراء، وكل تفاعل رقمي، وكل رحلة سفر، وكل صورة تشر من داخل الملعب، تصيف قيمة اقتصادية جديدة إلى المنظومة. ولم يعد الجمهور مجرد متلق للمباراة، بل تحول إلى شريك غير مباشر في إنتاج قيمتها التجارية. هذه الفكرة قد تبدو قاسية، لكنها تعكس تحولاً أوسع في الاقتصاد الرقمي، حيث أصبحت البيانات والاتجاه والوقت الذي يقضيه المستخدم أمام الشاشة أصولاً لا تقل قيمة عن السلع التقليدية. لكن الفكرة التقنيّة تقتضى التوقف عند حدود هذه الأطورة. فبويكوف يفسر معظم التحولات هذه خلال منطق السوق، بينما تبدو الصورة أكثر تعقيداً. فمن الصعب إنكار أن التوسع في كأس العالم منح منتجاتها من آسيا وإفريقيا وأمريكا الشمالية فرصاً لم تكن متاحة في النظام القديم، كما يصعب تجاهل أن كرة القدم ما زالت تحتفظ بقدرتها استثنائية على إنتاج لحظات يتراجع فيها منطق السوق أمام منطق الانتماء والهوية والذاكرة. ملايين المشجعين لا يسافرون وراء منتخباتهم لأنهم جزء من صناعة، بل لأنهم يرون في الرياضة امتداداً لهويتهم الوطنية والثقافية. وربما تكشف بطولة ٢٠٢٦ نفسها حدود رؤية المؤلف. فقد أثبتت الأسابيع الأولى من البطولة أن الحدث قادر على الوقت نفسه على إنتاج أرباح قياسية وإثارة نقاشات سياسية حادة، وعلى جذب جمهور غير مسبوق مع استمرار الانتقادات المتعلقة بالهجرة والأمن وأسعار التذاكر. وهذا يعني أن كأس العالم لا ينجح دائماً في فرض الرواية التي ترغب فيها الفيفا أو الحكومات، بل يتحول أحياناً إلى منصة تكشف التناقضات بدلا من إخفائها. وهنا يبدو مفهوم "النسل الرياضي" أقل قدرة على تصبير كل ما يجري، لأن البطولة قد تصبغ، في بعض الأحيان، مساحة لتضخيم الأزمات لا لتجملها. ومع ذلك، لا يفقد الكتاب أهميته. فبويكوف يذكر القارئ بأن كرة القدم لم تعد شأنًا رياضيًا خالصًا، وأن فهمها يتطلب النظر إلى ما وراء

تطورت الفيفا بالتوازي مع التحولات الكبرى التي شهدتها الاقتصاد العالمي منذ سبعينيات القرن الماضي. توسعت أسواق البث الفضائي، وظهرت الشركات العابرة للقارات، وارتفعت قيمة العلامات التجارية، ثم جاءت الثورة الرقمية لتضاعف قيمة المحتوى الرياضي. في هذا السياق لم تعد المباراة منتجاً قائماً بذاته، بل أصبحت نقطة البداية لسلسلة طويلة من الأنشطة الاقتصادية. فكل دقيقة لعب تنتج ساعات من التحليل التلفزيوني، وآلاف المقاطع الرقمية، وملامح التفاعلات على منصات التواصل، وحركة إعلانية ضخمة، وأسواق للمراهنة، وتطبيقات للهواتف، وقواعد بيانات تسجل كل ما يفعله اللاعب منذ لحظة التذكرة وحتى مغادرته الملعب. يعتبر بويكوف أن هذا التحول غير طبيعي السلطة داخل كرة القدم. ففي المراكز الأندية والمنشآت هي مركز اللعبة، أما اليوم فقد أصبحت البطولة نفسها هي الأصل الاقتصادي الحقيقي. ولهذا تتعامل الفيفا مع كأس العالم باعتباره منتجاً عالمياً يحتاج إلى إدارة متكاملة، وليس مجرد مسابقة تستمر شهراً ثم تنتهي. ويكفي النظر إلى دورة ٢٠٢٦ لفهم حجم هذا التغيير. فبعد المباريات ارتفع إلى ١٠٤، وعدد المنتخبات إلى ٤٨، واتسعت الرقعة الجغرافية لتشمل ثلاث دول في وقت واحد، بينما تحولت المدن الست عشرة الخيفية إلى شبكة اقتصادية متصلة، ترتبط بخطوط أمنية وسياسية وإعلامية واسعة.

يقدم الحقيقة النهائية عن كرة القدم، بل يقدم عدسة جديدة للنظر إليها. يجعل القارئ يخرج من دائرة النتائج والتكهنات والتهويلات إلى دائرة أخرى أكثر اتساعاً، حيث تتداخل السياسة بالاقتصاد، والإعلام بالديبلوماسية، والرياضة بإدارة الصورة الدولية. وبعد قراءة هذا الجزء من الكتاب، يصبح من الصعب النظر إلى كأس العالم بوصفه مجرد بطولة تنتهي بتتويج منتخب، لأن ما يجري خارج المستطيل الأخضر لا يقل أهمية، بل قد يكون أكثر من الأحيان، عما يجري داخله. كيف أصبحت اللعبة الأكثر شعبية في العالم واحدة من أكبر صناعات النفوذ؟ الفيفا... إمبراطورية تتجاوز حدود الملاعب إذا كان القرن العشرين قد شهد صعود الشركات متعددة الجنسيات بوصفها أحد أبرز الفاعلين في الاقتصاد العالمي، فإن العقود الثلاثة الأخيرة أفرزت نموذجاً مختلفاً يصعب تصنيفه بالعمامير التقليدية. فلا الفيفا شركة تجارية بالمعنى القانوني، ولا هي منظمة حكومية، ولا مؤسسة دولية مثل الأمم المتحدة، ومع ذلك تمارس نفوذاً يجعلها في بعض الأحيان أقرب إلى كيان عابر للحدود يمتلك القدرة على فرض قواعده على الحكومات والمدن والشركات. وهذه هي الفكرة التي تشغل الحيز الأكبر من كتاب جوليوس بويكوف: فالقضية بالنسبة إليه ليست فساد مسؤول هنا أو تضارب مصالح هناك، وإنما التحول الذي جعل مؤسسة رياضية تتحكم في واحد من أكبر الأحداث الاقتصادية والإعلامية في العالم. هذا التحول قد يحدث فجأة.

الفيفا للدورة المالية ٢٠٢٣-٢٠٢٦ تقرب من ١٣ مليار دولار، بينما يتوقع أن تكون نسخة ٢٠٢٦ الأكبر في تاريخ البطولة بمشاركة ٤٨ منتخبا وإقامة ١٠٤ مباريات في ثلاث دول وست عشرة مدينة. هذه ليست مجرد زيادة في عدد المباريات، وإنما توسع في حجم السوق نفسه، فكل مباراة إضافية تعني ساعات بث جديدة، وعقد رعاية إضافية، وعشرات الآلاف من التذاكر، وملامح المشاهدات الرقمية، وسوقا استهلاكية تتسع عاماً بعد آخر. غير أن أهم ما يلفت النظر في الكتاب ليس الأرقام، بل الطريقة التي يقرأ بها هذه الأرقام. فبويكوف يرى أن الاقتصاد لم يعد يدور حول كرة القدم، وإنما أصبحت كرة القدم نفسها جزءاً من الاقتصاد العالمي. المدن التي تستضيف البطولة لا تبني ملاعب فقط، بل توسع مطارات، وتطور شبكات نقل، وتعيد تخطيط أحياء كاملة، وتستثمر في الفنادق والاتصالات والخدمات. الحكومات لا تسعى إلى الفوز بعق التنظيم من أجل المباريات وحدها، بل من أجل ما تمنحه البطولة من حضور دولي، وجذب للاستثمارات، وتشجيع للسياحة، وتعزيز للعلامة الوطنية. والشركات لا تدفع مليارات الدولارات لأن جمهور كرة القدم يشترى منتجاتها في شهر واحد، بل لأن البطولة تمنحها فرصة للوصول إلى جمهور عالمي لا يتجمع في مناسبة أخرى بهذا الحجم. وهنا يخرج الكتاب من حدود الرياضة إلى مجال الاقتصاد السياسي. مجال الاقتصاد السياسي لا يهتم بحجم الإيرادات وحده، بل يهتم أيضاً بمن يملك القرار، وكيف توزع المنافع، ومن يتحمل الكلفة. ومن هذا المنطلق يطرح بويكوف سؤالاً مشروعا: إذا كانت الحكومات تتحمل الجزء الأكبر من تكاليف الأمن، والبنية الأساسية، والخدمات العامة، بينما تذهب نسبة كبيرة من العوائد التجارية إلى الفيفا والرعاة وحقوق البث، فمن الربح الحقيقي من استضافة البطولة؟ لا يقدم المؤلف إجابة واحدة، لكنه يلفت الانتباه إلى أن العلاقة بين الفيفا والدول لم تعد علاقة اتحاد رياضي مع دولة مضيئة، بل أصبحت علاقة تقاض بين مؤسسة عالمية تمتلك أصولاً اقتصادية بالغ القيمة، وحكومات مستعدة لتقديم تنازلات واسعة من أجل الحصول على حق التنظيم. وهنا تظهر إحدى أفكار الكتاب: القوة في كرة القدم لم تعد تقاس بعدد الأهداف، بل بامتلاك الحدث نفسه. لكن هذه الأطروحة، على جاذبيتها، ليست كاملة. فاللوف يركز بصورة كبيرة على منطق السوق، ويمنح الاقتصاد الدور الحاسم في تفسير كل التحولات تقريبا. والحقيقة أن كرة القدم بقيت، رغم كل شيء، ظاهرة ثقافية قبل أن تكون صناعة. فلا يمكن تفسير الحضور الجماهيري الهائل أو الانتماء العاطفي للبلدان والمنشآت، أو قدرة اللعبة على تجاوز الحدود واللغات، من خلال حسابات الربح وحدها. ولو كانت كرة القدم مجرد سلعة، لما استطاعت أن تحتفظ بهذا القدر من الشغف الشعبي عبر أكثر من قرن. وهنا تكمن القيمة الحقيقية للكتاب. فهو لا

**عندما أصدر استاذ العلوم السياسية الأمريكي جوليوس بويكوف كتابه Red Card**، لم يكن ينضم إلى سيل الكتب التي صدرت عن الفيفا في الاتحاد الدولي لكرة القدم، أو عن الجدل الذي أحاط باستضافة بطولات كأس العالم خلال العقدين الماضيين. فقد تناولت مئات الكتب والصحف تلك القضايا من قبل، وكشفت التحقيقات القضائية في الولايات المتحدة وسويسرا كثيراً من تفاصيلها الجديدة في هذا الكتاب أنه يطرح سؤالاً مختلفاً: كيف تحولت كرة القدم إلى واحدة من أكبر الصناعات تأثيراً في الاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية؟ ولماذا أصبحت بطولة كأس العالم حدثاً تتنافس عليه الحكومات كما تتنافس عليه المنتخبات؟ هذا السؤال هو مفتاح الكتاب كله. فلا ينظر بويكوف إلى كأس العالم باعتباره تأثيراً في الرياضة الأكبر فحسب، بل باعتباره نموذجاً مكثفاً للعبة في صورتها الحديثة، حيث تختلط الدولة باقتصاد السوق، وتتوحد الرياضة إلى علم للثقافة والدبلوماسية والثقافة والإعلام في وقت واحد. ومن هذه الزاوية لا تبدو كرة القدم استثناءً، بل واحدة من أكثر الصناعات قدرة على التعبير عن طبيعة النظام الدولي في القرن الحادي والعشرين. ولم تصل اللعبة إلى هذه المكانة مصادفة. فندما تأسس الاتحاد الدولي لكرة القدم عام ١٩٠٤، لم يكن أكثر من منظمة صغيرة تهدف إلى تنظيم المباريات الدولية، وحتى منتصف القرن العشرين بقيت كأس العالم بطولة محدودة من حيث الإيرادات والجمهور. لكن نقطة التحول جاءت مع انتخاب البرازيلي جواو هافيلانج رئيساً للفيفا عام ١٩٧٤. أدرك هافيلانج أن كرة القدم تملك جمهوراً يفوق أي نشاط ترفيهي آخر، لكنها لا تزال تدار بعقلية الهواة. فتح الباب أمام الرعاة العالميين، وربط البطولة بالشركات متعددة الجنسيات، ومنح حقوقاً تجارية حصرية لعلامات مثل كوكاكولا وأديداس، وحول كأس العالم من بطولة رياضية إلى منتج إعلامي عالمي. لم يكن ذلك مجرد تطوير إداري، بل كان إعادة تعريف كاملة لوظيفة الفيفا. وأصل السويسري سيب بلاتر هذا السار بعد عام ١٩٩٨، لكن على نطاق أوسع. فقد تصانفت عائدات كأس العالم دورة بعد أخرى، وأصبحت حقوق البث التلفزيوني تمثل المصدر الرئيسي للإيرادات، بينما دخلت شركات الاتصالات، والخدمات المالية، والسيارات، والطيران، والملابس الرياضية في شبكة الرعاية العالمية. ولم يعد نجاح البطولة يقاس بعدد الأهداف أو جودة المباريات، بل أيضا بحجم العقود التجارية، وعدد المشاهدين، وقيمة العلامة التجارية للفيفا نفسها. من هنا ينطلق بويكوف ليقول إن الفيفا لم تعد مجرد اتحاد رياضي، بل أصبحت مؤسسة تدير أحد أكبر الأصول الاقتصادية في العالم. قد يبدو هذا الوصف مبالغاً فيه لأول وهلة، لكنه يتكسب قدراً من المنطق عندما ننظر إلى الأرقام. فميزانية

Red Card، في كتابه World Cup، ٢٠٢٦ The Sportswashing, and the FIFA Greed Machine  
**إعداد: عزت إبراهيم**